الفصل الأول
نبي الله نوح عليه السلام
يمكث في قومه ألف سنة إلا خمسين

سيدنا نوح عليه السلام يعتبر أول رسولٍ أرسله الله إلى البشر، لهداية الناس وإرشادهم إلى عبادته وطاعته، وإقامةِ الحُجّةِ عليهم، فقال تعالى في كتابه العزيز:" رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥) النساء

، وجعل الإيمان بهم ركناً من أركان العقيدة الإسلامية، ومن هؤلاء الرُسل كان سيدنا نوح عليه السلام، فأرسله الله لقوم أتخذوا الأصنام ألهة وعبدوها من دون الله ، فجاء عليه السلام في مرحلةٍ من تاريخ البشرية ليعيد الناس إلى الصواب، والطريق المستقيم الذي يرضي الله تعالى ،فكان نوح عليه السلام يتصف بالعزيمة ويعد من أول الرسل والأنبياء الذين جعلهم الله في مرتبة أولي العزم وفضلهم بذلك على كثيرٍ من أنبيائه، وقد ظهرت العزيمة في مسيرة حياته في مواقف كثيرة، ومنها عزيمته التي لا تلين في سبيل دعوة قومه إلى التوحيد، حيث مكث فيهم ألف سنةٍ إلّا خمسين عاماً،ما الذي دعى نبي الله نوح ان يصبر كل هذه السنين على قومه صابرا لا يضجر يدعوهم للأيمان بالله مؤمن برسالة ربه مطمئنا لإيمانهم بدعوته ،؟ نعم مطمئنا هو اطمئنان قلبه الذي كان سلاح صبره ولم يتسلل اليأس إلى قلبه، فقد كان عليه السلام ذا قلبٍ رحيمٍ مشفق على قومه مما سيصيبهم من

عذاب الله إن هم استمروا على غيهم وضلالهم، وقد ظهرت الشفقة في قوله تعالى على لسان نوح عليه السلام:

(إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ(١٣٥) الشعراء كما ظهرت الرحمة والشفقة عنده عليه السلام حينما نادى ابنه الذي استحب الكفر على الإيمان حتّى يركب معهم في السفينة، ولكن سبقت كلمة الله وأمره فكان ابن نوح من الغارقين بالطوفان، وكان عنده من الصبر العظيم ،فقد كان عليه السلام صابراً على قومه، حيث ظل يدعوهم ويجادلهم دون يأسٍ أو قنوط، يحدوه الأمل بالله تعالى أن يسلم قومه وينيبوا إلى ربهم في يومٍ من الأيام. كان يدعوهم في كل وقت ، وذلك من الحكمة والمهارة في الدعوة فقد استخدم عليه السلام كافة الوسائل في دعوة قومه، فقد دعاهم ليلاً حيث يكون مظنّة سكون النفس وهدوئها وحسن استماعها إلى القوم، ودعاهم كذلك نهاراً وفي النهار مظنّة إقامة الحجة بالدليل الساطع، كما أنّه دعاهم في السر والعلن، وذكّرهم بعاقبة المستغفرين المنيبين وكيف يرسل الله السماء عليهم مدراراً، ويزيدهم مالاً وبنيناً. حسن الرد وقوة الحجة والمنطق فقد كان عليه السلام يرد رداً حكيما على الكافرين الذين كانوا يمرون عليه وهو يصنع السفينة فيسخرون منه، فكان لسان حاله ومقاله يردد قوله تعالى:

(قالَ إِن تَسخَروا مِنّا فَإِنّا نَسخَرُ مِنكُم كَما تَسخَرونَ (٣٨) فَسَوفَ تَعلَمونَ مَن يَأتيهِ عَذابٌ يُخزيهِ وَيَحِلُّ عَلَيهِ عَذابٌ مُقيمٌ(٣٨) هود

كما استخدم الشدة ؛ سبيلا على الكافرين فعلى الرغم من أنّه صبر صبراً عظيماً في دعوته لقومه، إلّا أنّه حين أدرك أنّه لن يؤمن من قومه إلّا من آمن دعا على الكافرين منهم ، فقال تعالى على لسانه عليه السلام:" وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٧) رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (٢٨) نوح

وعد الله سيدنا نوح أن لا يُعذب أطفالاً بذنوب آبائهم، فعقم جميع أرحام الأُمهات عدة سنين حتى لم يُصبح ولا أي طفل صغير في قوم نوح، أوحى الله تعالى إلى سيدنا نوح بصنع السفينة " فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا". كان جبريل يُعلّم سيدنا نوح كيف يصنع السفينة خطوة بخطوة وكان القوم دائماً يستهزؤون به؛ إي إنّه كيف يصنع سفينة في وسط الصحراء فكانوا يقولون "السفينة تصنع للبحر وأنت تصنعها في البر؟ فكان يرد عليهم قائلاً "إن تسخَروا منّا فإنّا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه ويحلّ عليه عذابٌ مقيم". حين انتهى من صُنع السفينة أمره الله تعالى أن يحمل في السفينة جميع من آمن معه، وعددهم ثمانون شخصاً، ومن كل حيوان زوجين لحمايتهم من الانقراض، وفعل ذلك سيدنا نوح .

وذكر الله تعالى هذا الوصف في كتابه العزيز فقال "وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (٣٨) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ

مُّقِيمٌ (٣٩) حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (٤٠) وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣)هود

بعد أن غابت الشمس أصبحت السماء تُمطر مطراً قوياً وشديداً، وأصبح الماء ينهمر من عيون الأرض، وأصبحت الأرض بحراً كبيراً. استمرّ هذا المطر لمدّة أربعين يوماً، ثُمّ رأى سيدنا نوح ولده الكافر، وقال له "يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين" ولكن الابن لم يقبل وكان يظن أنه سوف ينجو، فغرق جميع الكافرين ونجا الذين آمنو بسيدنا نوح، وأمر الله تعالى أن تكُفّ السماء عن المطر فتوقّفت السفينة عند جبل اسمه الجودي؛ وقد استجاب الله دعاء نوح عليه السلام وقضى بهلاك قوم نوح بالغرق، عقيدة نوح الإيمانية الراسخة هى التى رزقته فضل الله عليه من الصبر على قومه لعلهم يؤمنون وحسم الله فيهم أمره، ونجى منهم نوح والمؤمنون

ولما أهلك الله الكفار بالغرق أمر الله الأرض أن تبلع الماء وأمر السماء أن تكف عن المطر فاستوت السفينة راسية على جبل الجودي بالموصل و قضي الأمر وأهلك الظالمون وقال الحق تعالى :

" وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥)هود وهكذا نصر الله نوحاً والمؤمنين معه وأهلك من كفر به وجعلهم عبرة للناس وهذا وعد الله الحق " وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٧) الأنبياء

ثم جعل الله في ذرية نوح وإبراهيم عليهما السلام النبوة و الكتاب كما قال سبحانه " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦)الحديد